مجتبى عبدالله

عاشقة القمر البني والفتي الريفي

تَشهتَني ...
براعمها اخضرار الصيوة الاولى،نداء البوح عبر صراخها الازلي
عطاء اللدة الصوفية العينين
عطاء المرأة الانثى .. عطاء الطهر حين يفوح عنقودا ،
وطمي توهج ليلي
حنين الغابه الولهي ، وجوع بداوة جبلي
تمدّ رعونة الحُمى ، وشوق نزيفها الجسدي
فتكتمه .. تعرّيه ، على نهدين ممتلئين بالرغبه
وعمق فؤادها بئر من الرهبه
وتخشى الطهر في مهد العفونة يبذر التلقيح ، تُنبت،
تورق الجثه
تَشهتَني ...
ورغم صهيلها الفجريّ ما انفتقت جرار الصخر والتوبه
وما روّت لها جذرا ، ولا نبتت صحاريه ، عيونا من رؤى القطرات
وما غسلت صرير الضوء حين يلوب في اعماقها سرا
وما فتحت رتاج جناحه جسرا من الفيمات
تمدّ يدا ، تقطّع شوقها المحموم اغنية وحبلا من لهيب الآه في الشرفات
وتخشى الصبح .. تُنبت .. تورق الجثه
وتخشى الفجر حين ذبابه البرّي يحمل ريحها العاهر
تَشهتَني ...
وزادت شحنة الحُمّى على اعصابها وفؤادها النابح
براري الصهد والتعذيب مدّت رحمها الدموي صوب النهر
وعبر فحولتي جمر النزوع الخصب ينمو حقده فجرا
وفي ذاتي مواء عويلها المجنون ، رؤيا مدّها الطافح
تَشهتَني ...
وحين نبذت صمت الريف اعمتني رؤى المدن
ورشّتني نفايات الضياع المُرّ ، هزّتني عرى البشر
وحين فقأت عين براءتي ، طهري ...
حملتْ تفاهتي وخطيئتي ذنبا يؤرقني ..!

كما ذكرت آنفا هذا الامتزاج في بوتقة الواقع السوداني حدث كذلك بالنسبة للانظمه السياسية والاجتماعية . فلقد حاول الادب الشعبي آن يربط بين الانظمة المحليه والانظمة العربية ، كما جعل اختلاف هذه الانظمة وما ترتب على ذلك من اختلال واضطراب فموازنة موضوعا له . ولكن هذا يحتاج لبحث يطول ويدعو للاسهاب . لذلك اكتفى هنا بالامثلة من الواقع العرقي ومن النظام الديني .

خلاصة البحث :

اصول الادب الشعبي السوداني ترجع الى جذور وروافد محلية وفرعونية (بعضها تشربت بالاثار الافريقية والرومانية) ومسيحية وعربية اسلامية . كما خضع هذا الادب في مراحل نموه المتقدمة الى الاثر التركي والغربي الحديث . ورغم ان الاثر التركي كان في الغالب الاعم بمثابة ردود فعل للحكم التركي اكثر من كونه انصهار عناصر تركية في التراث السوداني ، الا انه لا يمكن اهماله . فاننا نجد ردود الفعل للاثر التركي تنعكس في الشعر الشعبي والامثال . والاثر الغربي الحديث يطل على سطح وتفاصيل الادب الشعبي اكثر من تاثيره على جوهر هذا التراث ، ولكن لا يمكننا اهماله لانه اخذ في الازدياد سواء كان ذلك على حياتنا او على ادبنا . ولكن كلا الاثرين الاخيرين لا يرتبط بالاصول والجذور الراسخة للادب الشعبي السوداني . وان قدر لنا ان نسلط الاضواء على اصول دون سواها فاننا نركز على الاصول الافريقية ـ المحلية والاصول العربية الاسلامية . فامتزاج وانصهار هذين العنصرين وهاتين الثقافتين تحت ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية محددة هو الاطار والمحك الذي لا مناص من الرجوع اليه عند مناقشة تكوين الشخصية السودانية واصول الاداب السودانية .

لا شك في آن الادب الشعبي تجسيد للحس الجماعي وهو يعكس تاريخ وواقع وتطلعات الشعب ، او بعبارة اخرى يرتبط بماضيه وحاضره ومستقبله . طالما ان الحال كذلك فالاصول الافريقية ـ المحلية والعربية ـ الاسلامية التي تحدثنا عنها والتي تضرب في اعماق التاريخ ، هذه الاصول ترتبط بواقعنا الذي نعيشه اليوم . دعنا ننظر حولنا في هذه اللحظة (يناير ١٩٧٥) من واقع سوداننا المعاصر . فماذا نرى ؟ اعتقد اننا ندرك من الوهلة الاولى ان علاقات المجموعات العرقية المختلفة في السودان وارتباط جنوب القطر بشماله وامكانية التعايش بين المجموعات والديانات المختلفة واحترامها لبعضها البعض ، ندرك ان تلك الامور من اهم ما يدور في الافق السوداني . وكذلك نجد ان الانتماء العربي الافريقي ودور السودان ومقدرته على ربط العالمين الافريقي والعربي يهيمن على التفكير السياسي ومما تعكسه وسائل الاعلام بصورة مكررة . ما ارمي اليه ان التراث يرتبط بالحياة وبالواقع. واصول التراث التي ترتبط بتاريخنا وباصول ثقافتنا لها استمرارية واثر مباشر على واقعنا وافقنا السياسي وترتبط بما يشغل بالنا في هذه اللحظة من حاضرنا .